

تفسير البحر المحيط

@ 232 @ إِنْ لَيْدَا أَنْ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى { وبني } { أُوْحَى }

{ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب . وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالوا له ما أمرهما [] أن يبلغاه قال { فَمَنْ رَّبُّكُمْ } يامُوسَى * مُوسَى { خاطبهما معاً وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبئه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله { أَمْ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ هَذَا السَّذَى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ } انتهى . .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معاً ثم أعلمه من صفات [] تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معاً ثم أعلمه من صفات [] تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري : و[] در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتيان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً . وقال الشاعر : % (وله في كل شيء خلقه % .

وكذلك [] ما شاء فعل .

. %)

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك { * خلقه } من المنفعة المنوطة به المطابقة له { خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى } أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه . قال القشيري : والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها [] للأعضاء ، وعلى هذا مفعول { أَعْطَى } الأول { كُلُّ شَيْءٍ } والثاني { خَلَقَهُ } وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى { أَعْطَى كُلُّ شَيْءٍ } مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة . فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه إلى منكره ومطعمه ومشربه ومسكنه . وعن ابن

عباس أنه هداه إلى إلفه والاجتماع به والمناكحة . وقال الحسن وقتادة { أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ } صلاحه وهداه لما يصلحه . .

وقيل { كُلُّ شَيْءٍ } هو المفعول الثاني لأعطى و { خَلَقَهُ } المفعول الأول أي { أَعْطَى } خليقته { كُلُّ شَيْءٍ } يحتاجون إليه ويرتفقون به . وقرأ عبد الله وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأبو نهيك وابن أبي إسحاق والأعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح عن قتيبة وسلام خَلَقَهُ بفتح اللام فعلاً ماضياً في موضع الصفة لكل شيء أو لشيء ، ومفعول { أَعْطَى } الثاني حذف اختصاراً أي { كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } لم يخله من عطائه وإنعامه { ثُمَّ هَدَى } أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه . وقيل : حذف اختصاراً لدلالة المعنى عليه ، أي { أَعْطَى كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } ما يحتاج إليه وقدره ابن عطية كماله أو مصلحته . .

{ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى } لما أجابه موسى بجواب مسكت ، ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل إلى سؤال آخر وهو ما حال من هلك من القرون ، وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به ، والحيدة والمغالطة . قيل : سأل عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان أو هما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الأمم السالفة ، ولم يكن عنده عليه السلام علم بالتوراة إنما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال { عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي } . وقيل : مراده من السؤال عنها لم عبت الأصنام ولم تعبد الله إن كان الحق ما وصفت ؟ وقيل : مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تُجَازَى فقال { عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي } فأجابه بأن هذا سؤال عن